

الكلمتان: الطيبة والخبيثة



"عطاءُ الكلمة الطيبة ليس له موسمٌ معيَّن، فهي تأتي أكلَّها كلَّ حين".

الكلمتان.. الطيبة والخبيثة:

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثِّلَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَأْلُهَا مِنْ فَرَارٍ) (إبراهيم/ 24-26).

الإنسان المؤمن (كلمة □):

إن □ - سبحانه وتعالى - يريد أن يركّز في وجدان الإنسان أن كلَّ حياته في دورها الإيجابي تختصرها (الكلمة الطيبة) كما أن كلَّ حياته في دورها السلبي تختصرها (الكلمة الخبيثة). فالإنسان الذي يعيش العقل كما يريده □، ويعيش القلب كما يحبّه □، ويعيش الحركة كما يرضاها □، هو (الكلمة) المتجسّدة في إنسانه، ونحن نؤمن أن □ سبحانه وتعالى أعطى عيسى (ع) صفة أنّه كلمته، وربما يفسّر بها البعض لأنّه انطلق من إرادة □ التي يعبر عنها (إِنْ زَمَّ أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (يس/ 82).

ولكننا قد نستوحي من (كلمة □) أن (عيسى) في كلِّ روحيته وبكلِّ انفتاحه على الرسالة في

واقع الإنسان وبكلِّ جهده وجهاده، وبكلِّ الحب الذي أعطاه للإنسان وللحياة كلها، جسّد الكلمة التي يحبّها [١] من حيث تجسّدّها في الإنسان.

الكلمة القرآنية:

"نستطيع أن نستوحي من كلّ القرآن أن [١] أراد أن يغدو كلّ حياة الناس، ولعلّ القمة في هذا التجسّد القرآني في الإنسان، يتمثل في النبيّ محمد (ص) والأئمة الهداة من أهل بيته لاعتبار أنّهم القرآن الناطق، فقد تحوّلوا إلى كلمة، وتحوّلت الكلمة فيهم إلى عقل وروح وحركة وحياة، وهذا ما يريده [١] منّا بأن تتحوّل الكلمة القرآنية عندنا عقلاً نفكّر به في خط القرآن، وقلباً نتحسّسه في عواطفنا في عاطفة القرآن، وحركة نعيشها في حركة القرآن، وأن لا تكون الكلمة حروفاً، بل إنساناً، بكلِّ ما تعنيه إنسانيته التي تتحرّك من خلال معاني الكلمات القرآنية، وهذه هي قمة هدف التربية في الإسلام، بأن نحوّل القرآن إلى شيء نعيشه ونحسّه ونتمثّله ونتحرّك فيه.

طبيّة تغني الحياة:

هذه هي الكلمة الطبيّة، لأنّ الطبيّة ليست محدودة في جانب معيّن، فهي كلمة طبيّة لأنّها تغني الحياة وتعطيها حركيتها وحيويتها، وهي كلمة طبيّة للإنسان لأنّها تجعل عقله طبيّاً ينفّث بكلِّ الطبيب الذي يتحرّك به الفكر فتشعر بطبيب الفكر في عقله، وتجعل القلب طبيّاً فإذا بالقلب كلّّه محبّة وخير وانفتاح، وتجعل الحركة طبيّة فإذا بها تنطلق لتعطي فاكهة فكرية هنا، وثمرّة روحية هنا، ومشروعاً للحياة هناك.

فالكلمة الطبيّة تمثّل كلّ إجابات الحياة وكلّ إنسانية الإنسان ولهذا شبّهها [١] تعالى في عطايا وحيويتها وفي امتدادها وفي عمقها بالشجرة الطبيّة (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً (إبراهيم/ 24)، أتريد أن تعرف ما هي الكلمة الطبيّة في الواقع، انظر إلى الشجرة الطبيّة، فإذا بها تمتد جذورها في أعماق الأرض حتى تكاد تنفتح على الأرض بكلِّ عروقها، وإذا بها - أيضاً - تمتد في السماء حتى تبلغ إلى أبعد ما يمكن أن تبلغه أغصان الشجر.

الكلمة الطبيّة ليس لها موسم:

ثمّ إنّ عطاء (الكلمة الطبيّة) ليس له موسم معيّن، ففي الربيع تعطي الثمر وفي الصيف تعطي وفي الشتاء وفي الخريف. هذه هي الكلمة الطبيّة في صورتها المادية الحسّية، فهي عندما تكون صدقاً، حقّاً، وعندما تكون عدلاً، علماً، وعندما تكون خيراً، فهي تؤتي أكلها كلّ حين، فالخير لا فصل له، فكلّ الفصول فصوله، والحق لا موسم له، فكلّ المواسم مواسمه، وهكذا العدل وكلّ القيم الروحية (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً) في عمقها، وفي امتدادها، وفي عطاياها، (كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كلّ حينٍ بإذن ربّها)."

و[١] تعالى لا يأذن إلاّ بالمحبّة (وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ) (إبراهيم/ 25)، فإنّ يضرب المثل بالشئ الحسّي لننتقل منه إلى الشئ المعنوي (لَعَلَّاهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)، فإيها الإنسان فكّر، وحرك فكرك وعقلك، وحاول أن تأخذ شيئاً من شيء، وحاول أن تستنتج، ولا تجمّد على ما عندك بل طوّره بالانتقال من (الحسّي) إلى (المعنوي) ومن (المعنوي) إلى معنوي آخر.

الكلمة الخبيثة:

أَمَّا الشجرة الخبيثة (وَمَذَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ)، فليس لها جذور، وإذا لم يكن لها جذور في أعماق الأرض، فكيف تكون لها فروع في أعالي الفضاء، فالشجرة تمتد في الفضاء بمقدار امتدادها في الأرض، فإذا كانت تعيش على السطح، لا علاقة لها بالعمق، فإنها ستموت أمام أية عاصفة، والكلمات الخبيثة هي كذلك، فكلمة (الكذب) وكلمة (الغيبة) وكلمة (النميمة) وكلمة (الباطل) وكلمة (الظلم) وكل كلمة لا تتعمق في حياة الإنسان ولا ترتفع إلى الله، فهي قد تترك تأثيراً بين وقت وآخر، لكنها لا تستطيع أن تصل إلى مستوى الخلود.

الكلمات الطيبة خالدة:

أيُّها الناس، انظروا إلى الكلمات الطيبة كيف امتدت وقد مات الرُّسل ومات الأولياء، ويبقى القرآن أمدَّ الدهر يمتد فكراً وقيمة وحركة وحيوية، وانظروا إلى الكلمات الخبيثة، كيف ذهبت مع الرياح، فيما يبقى الله وتبقى كلماته، ويبقى الإنسان يخلِّق في الكلمات الطيبة التي ترتفع إلى الله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ) (فاطر/ 10)، فهل لنا أن نأخذ بالكلم الطيب في حياتنا الفردية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية حتى ينطلق الكلم الطيب ليغني حياتنا؟

فكِّروا فيما يخلد، ولا تفكِّروا فيما يموت... (الْمَالُ وَالْأَيْدُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)، تلهون بها لحظة أو لحظتين (وَالْآيَاتُ الْكَافِرَاتُ الصَّالِحَاتُ)، في كلماتكم، (وَالْآيَاتُ الْكَافِرَاتُ الصَّالِحَاتُ) في أعمالكم، (وَالْآيَاتُ الْكَافِرَاتُ الصَّالِحَاتُ) في مشاريعكم، (وَالْآيَاتُ الْكَافِرَاتُ الصَّالِحَاتُ) في كلِّ الحب الذي تعطونه، وفي كلِّ الحق الذي تثبِّتونه، وفي كلِّ الباطل الذي تهدِّمونه (وَالْآيَاتُ الْكَافِرَاتُ الصَّالِحَاتُ) عند رَّبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (الكهف/ 46)، ويبقى الأمل عند الله للعاملين الصالحات يخضرُّ في حياتهم، وينطلقون للخبرة الياقة في الجنة التي أعدَّها الله للمتقين في آخرهم.

المصدر: كتاب الندوة